المعنى الشعري المخترع في النقد العربي القديم

د. فائز طه عمر

كلية الآداب/جامعة بغداد ١٩٩٦م

يمثل أهتمام النقاد العرب القدامى بالمعنى في الشعر جزءا حيويا من أهتمامهم الشامل بالشعر وألفاظه وصوره ومضامينه وشروطه ، ومن قضايا المعنى التي عني بها المعنيون بالشعر ونقده قضية أختراع المعنى ومحاولتهم تحديد المعنى المخترع وماهيته وشروطه وأهم الشعراء المخترعين للمعاني ومكامن اختراعاتهم مما هو مدار محاولتنا في هذا البحث الذي سيعنى بهذا الجانب الجزئي المهم من أهتمام النقاد العرب ، على نحو موجز ، غير مدعين أننا أول من عني بهذه القضية ، بل أن مصطلح الأختراع قد تتبعه أستاذنا د. أحمد مطلوب في النقد العربي القديم[١] ، وتناوله ، عند أبن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ، د. احسان عباس أيضا[٢] ، على نحو موجز جدا ، على أن هذا المصطلح يحتاج الى تأصيل وتتبع أكثر مما وجدناه ، لذا سنحاول عدم تكرار ما ذكر لدى الأستاذين المذكورين، وإن أضطررنا الى ذلك فعلى سبيل تتبع معالم المصطلح ، أو لتعميق وتأصيل ما وجد عندهما .

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘

لقد شاع ، منذ أوائل القرن الأول الهجري ، تقديم أمرئ القيس على سائر شعراء الجاهلية ، مما نجده في أحد أحاديث الرسول محمد (ﷺ)[٣] ، ثم نص عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) على هذا التقديم معللا إياه بسبق أمرئ القيس الشعراء في طرق الأفكار والمعاني والاساليب الجديدة ، فقد قال عمر (للعباس بن عبد المطلب رحمه الله ، وقد سأله عن الشعراء : أمرؤ القيس سابقهم ؛ خسف لهم عين الشعر

فأفتقر* عن معان عور أصح بصر .)[٤] ، فكان تعبير (خسف لهم) مأخوذا (من الخسيف وهي البئر التي حفرت فخرج منها ماء كثير ...)[٥] ، وهو معنى يدل على السبق والأبتكار على نحو غير مباشر . ونجد هذه الفكرة نفسها ، أدق وأدل، في وصف علي بن أبي طالب (ﷺ) لأمرئ القيس الذي فضله على الشعراء كافة، لأنه (كان أصحهم بادرة ، وأجودهم نادرة)[٦] ، والبادرة من الفعل بدر الى الشيء أي أسرع[٧]، ويبدو أنه عنى أنه أسبقهم الى طرق مالم يطرقه أحد قبله ، على هذا يظهر ، من قولي عمر وعلي ، أن فكرة الأبتكار أو الأختراع قد أصبحت معيارا نقديا في تقديم الشعراء منذ أوائل القرن الأول الهجري ، وليس في القرن الثاني كما ذهبت الى ذلك د. سنية أحمد محمد[٨] .

ويبدو أن أمرأ القيس (لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق الى أشياء فأستحسنها الشعراء وأتبعوه فيها ؛ لأنه ، قيل ، أول من لطف المعاني ، وأستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرب مأخذ الكلام، فقيد الأوابد ، وأجاد الأستعارة والتشبيه .)[٩] وفي كل هذا أختراع بين .

وقد نص الأصمعي (٢١٦هـ) على أن سبق أمرئ القيس الى المعنى الجديد ، وأجادته في تصويره ، من أهم عناصر تقديمه على الشعراء ، في قوله : (أولهم كلهم في الجودة أمرؤ القيس ، له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا من قوله ، وأتبعوا مذاهبه ..)[١٠] . وكان معيار اختراع المعنى والسبق اليه غير خاص بأمرئ القيس بل صدق على شعراء آخرين جاهليين وغير جاهليين ، فنجد أبا عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) ، وخلف الأحمر (١٨٠هـ) ، ويونس بن حبيب (١٨٢هـ) قد عنوا بتتبع التشبيهات التي أنفرد بها أصحابها ، والتي وصفوها بالتشبيهات العقم ، مما يدل على أن نقاد الشعر الأوائل لم يهتموا باختراع المعاني فحسب بل بأختراع الوسائل المعبرة عن المعاني أيضا ، فالتشبيه وسيلة

---

* افتقر أي فتح ، وهو من الفقير ، وهو فم القناة، العمدة: ٩٤/١ .

تعبيرية ؛ فقد روى الأصمعي أنه قد (أجمع أبو عمرو بن العلاء ، وخلف الأحمر، ويونس – وهم أهل العلم بالشعر – أن التشبيهات العقم ، التي أنفرد بها أصحابها ، ولم يشركهم فيها غيرهم ممن تقدم ، وممن تأخر أبيات معدودات : قول عنترة في تشبيه حنك الغراب بالجلمين .

ظعـن الذيـن فـراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقـع
حرق الجناح كأن لحيي رأسه جلمـان بالأخبار هش مولع

وقول عدي بن الرقاع في تشبيه قرن الظبي ..

وقول الراعي يصف قانصا ، جعد الرأس ، دنس الثياب :

فكأن فروة رأسه من شعره رعيت فأثبت جانباها فلفلا

وقول بشر بن أبي حازم بن عمرو الأسدي .. وقول الطرماح .. وقـول ذي الرمة .. وقول مضرس بن ربعي ...)[١١] .

ويزيد الأصمعي على ما قاله هؤلاء العلماء ما يراه من قول النابغة الذبياني في تشبيه النسور الذي يراه من (التشبيهات التي سبق اليها قائلوها ، وقصـر عنـها طالبوها ، بل لم يتعرض لها متعرض من الشعراء .

تراهن خلف القوم خزرا عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانب .)[١٢]

على أن أبن رشيق يرى أن النابغة قد أخذ معناه من طرفة[١٣] ، على هذا ربما يقصد الأصمعي سبق النابغة في وسيلة التعبير وليس في المعنى .

وأظن أن أبا عبيدة (٢١٠هـ) ، عند تقديمه أبا نواس علـى المحدثيـن مـن الشعراء ، وقد أنطلق من معيار السبق والأختراع ، لأنه ، عنده ، مثـل أمـرئ القيس للأولين في قوله : (أبو نواس للمحدثين كأمرئ القيس للأولين ، لأنه الـذي فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعاني.)[١٤] ، على أن الأصمعي يـرى هذه المنزلة الريادية لبشار بن برد لسلوكه طريقا لم يسلكه أحد قبله فتفرد فيـه ،

ممّا نجده في قوله الذي جاء في موازنته بين بشار ومروان بن أبي حفصة والذي فضل فيه بشاراً : (وبشار سلك طريقاً لم يُسلك وأحسن فيه وتفرد به ، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً .)[١٥] ، فربما قصد الأصمعي بالبديع، في قوله ، الأختراع أو التجديد ، على ما يظهر في سياق نصه .

إن نقاد الشعر والمعنيين به ، ممن ذكروا وربما غيرهم ، قد أدركوا الأختراع في المعاني بمعناه وكنهه ، على أنهم لم يستعملوه بلفظه ، غير أن الأصمعي ربما أستعمل له رديفاً ، ذلك هو الأبداع ، حتى جاء الجاحظ (٢٥٥هـ) الذي أستعمل مصطلح الأختراع بلفظه ، وقد أورده رديفاً للأبداع كما نرى في قوله الذي يتحدث فيه عن السرقة وتحققها في المعنى المخترع ، وعن أقسام المعاني (لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام في معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في معنى بديع مخترع ، الاّ وكلّ من جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إنْ هو لم يعدُ على لفظه ، فيسرق بعضه أو يدّعيه بأسره فأنه لايدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه ...)[١٦] ، فالمعاني ، عند الجاحظ ، على ثلاثة أضرب ، كما رأينا ، أحدها المعنى البديع المخترع الذي هو الجديد المبتكر غير المسبوق . وهي معان عُبّر عنها بالتشبيه . ويلاحظ أن مصطلح الأبداع الذي أستعمله الجاحظ رديفاً للأختراع قد شاع أستعماله بهذا المدلول عند كثير ممّن عُنوا بالمعاني[١٧] . والجاحظ يرى أن قول عنترة في صفة الذباب :

جادَتْ عليه كلُّ عينٍ ثرّة ... فتركنَ كلّ حديقةٍ كالدّرهمِ
فترى الذبابَ بها يغني وحده ... هزجا كفعل الشارب المترنم
غرِداً يحكُ ذراعه بذراعه ... فِعْلَ المكبّ على الزناد الأجذَمِ

لم يستطع أحد أن يأتي بمثله ولم يعرض له أحد من الشعراء (ولقد عرض له بعض المحدثين ممّن كان يُحسن القول ، فبلغ من استكراه لذلك المعنى ومن أضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر)[١٨] .

فهذا معنىً فرد مخترع ، يعدّ من التشبيهات العُقم .

وقد ورد مصطلح الأختراع رديفاً للأبداع عند الجاحظ أيضاً في وصفه لبشار في قوله : (كان بشار شاعراً خطيباً صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الأبداع والأختراع ، المفتنين في الشعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه ...)[١٩] ، وهذا الرأي هو نفسه رأي الأصمعي في بشار الذي ورد آنفاً .

وقد وصف أبن المعتز (٢٩٦هـ) بعض معاني الشعراء بالأبداع ، وأظنه يقصد ، به ، الأختراع ، فقد قال في قول بشار :

أودُّ مِنْ لم ينلني من مودّته ... الاّ سلاماً يردُّ القلبَ حيرانا

يا قومُ أذني لبعض الحيّ عاشقةٌ ... والأذنُ تعشقُ قبل العين أحيانا

بأنه (معنى بديع لم يسبقه اليه أحد .)[٢٠] .

وبعد الجاحظ ، أستعمل بعض النقاد مصطلح الأختراع بمعناه الظاهر ، ممّا نجده عند أبي علي محمد بن العلاء السجستاني ، من القرن الرابع ، والمعاصر للآمدي (٣٧١هـ) الذي نقل عنه قوله في ما يراه من أختراعاتٍ لأبي تمام ، بقوله (وقد سمعتُ أبا علي محمد بن العلاء السجستاني يقول : إنه ليس له[٢١] معنى انفرد به وأخترعه الاّ ثلاثة معانٍ ، وهي قوله ...

بني مالكٍ قد نبّهتْ خاملَ الثرى

قبورٌ لكم مستشرفاتُ المعالمِ

رواكدُ قيسَ الكفّ من متناولٍ

وفيها عُلىً لا تُرتقى بالسلامِ

وقوله ...)[٢٢] ، على أن الآمدي يرى أنّ لأبي تمام (مُخترعات كثيرة ، وبدائع مشهورة .) ما نجده من الموضع ذاته . وفي قول الآمدي محاولةٌ للتفريق بين الأختراع والأبداع ، بيد أنها محاولةُ عارضة ، فقد قرن الآمدي ، في مواضع

أخرى ، الأختراع بالأبداع ، في عده (أن السرقة إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ..)[٢٣] ، ومن الممكن وضع حدود بين المعنى المخترع ، والمعنى المشترك ، في ما يقصده الآمدي[٢٤] ، فالمعاني المخترعة هي معان غير مستعملة ، وغير جارية مجرى الأمثال ، وغير معروفة أو مشهورة أو متداولة أو جارية على أفواه العامة والخاصة ، أما المعاني المشتركة فهي عكس ذلك .

وقد أستعمل مصطلح الأفراد رديفا للأختراع عند الشمشاطي (٣٧٧هـ)[٢٥] ، وعند علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩١هـ)[٢٦] ، مع أستعماله مصطلح الفرد المخترع الذي ، ربما ، قصد به أنفراد شاعر واحد بمعنى مخترع واحد لم يستطع أحد أن يأتي بمثله ، ذلك أنه يرى أن الظفر بهذا المعنى (أمر غاية في الصعوبة.)[٢٧] . وقد أستعمل ، أيضا ، مصطلح البديع المخترع[٢٨] . وكانت المعاني المخترعة ، عند الحاتمي (٣٨٨هـ) هي المعاني العقم وهي الأبكار المبتدعة[٢٩] ، والشاعر المبتكر هو السابق[٣٠] .

وقد لاحظنا أن الأبداع كان رديفا للأختراع ، وقد بقي كذلك عند النقاد ، وعند غيرهم مما هو متفق مع المعنى اللغوي للكلمتين .

ويرى أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) أن المعاني على ضربين : ضرب مبتدع غير مسبوق ، والآخر متبوع ، فقصد بالمبتدع المخترع مما نجده في قوله: (ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه ، أو رسوم قائمة مماثلة يعمل عليها ، وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ، ويتنبه له عند الأمور النازلة الطارئة ...)[٣١] ، فأبتداع المعنى أو أختراعه يقع عند حدوث الحادثة والأمور النازلة الطارئة ، أي أن الأحداث هي التي تحرك قريحة الشاعر نحو صوغ معنى جديد مخترع ، مما قاله أبن الاثير (٦٣٧هـ) أيضا ، كما سنرى . ويستعمل العسكري مصطلح الأبتكار رديفا للأختراع عادا إياه فضيلة ترجع الى المبتكر وليس الى المعنى ، فجودة المعنى ، عنده ، غير مشروطة بكونه سابقا أو مسبوقا ، كما جاء في قوله : (على أن أبتكار المعنى والسبق اليه ليس هو فضيلة ترجع الى المعنى ، وإنما هو فضيلة ترجع الى

الذي أبتكره وسبق اليه ، فالمعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقا اليه ، والوسط وسط، والرديء رديء، وإن لم يكن مسبوقا اليهما .)[٣٢] ، ولم يحدد قصده من هذه الأضرب من المعاني ، غير أنه دعا صاحب المعنى الى أن يعنى بالتعبير عن معناه ، بأن يختار له (الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة أبتكاره إياه ، ولايغره أبتداعه له .)[٣٣] .

وربما كان ما تركه لنا أبن رشيق القيرواني عن مصطلح الأختراع أفضل ما كتب عن هذا المصطلح وتحديده وعن الفرق بينه وبين البديع وغيره من المصطلحات ، فقد عقد بابا للمخترع والبديع في كتابه (العمدة ..) فرق ، فيه ، بين هذين المصطلحين[٣٤] ، فعد الأختراع صفة للمعاني ، والأبداع صفة للألفاظ، مع أتفاقهما في المعنى اللغوي ، قال : (والفرق بين الأختراع والأبداع ... وإن كان معناهما في العربية واحدا ... إن الأختراع خلق المعاني التي لم يسبق اليها ، والأتيان بما لم يكن منها قط . والأبداع أتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله ثم لازمته هذه التسمية حتى قيل له بديع ، وإن كثر وتكرر . فصار الأختراع للمعنى ، والأبداع للفظ ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد أستولى على الأمر وحاز قصب السبق .)[٣٥] ، وأرجع أبن رشيق كلمة الأختراع الى أصلها اللغوي قائلا : (وأشتقاق الأختراع من التليين ، يقال : (بيت خرع) إذا كان لينا ، والخروع فعول منه ، كأن الشاعر سهل طريقة هذا المعنى حتى أبرزه .)[٣٦] ، فضلا على قوله في أصل كلمة بديع[٣٧] ، وتحديده مصطلحات مقاربة[٣٨] . ويستعمل ابن رشيق كلمة الأبتكار رديفا للأختراع في قوله معلقا على بيت امرئ القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

(فأنه أول من طرق هذا المعنى وأبتكره ، وسلم الشعراء اليه ، فلم ينازعه أحد إياه .)[٣٩] ، وهو يعد أمرأ القيس أول الناس وأكثرهم أختراعا في قوله عنه : (وله أختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع، وهو أول الناس أختراعا في الشعر..)[٤٠].

وأشار الى معان مخترعة لطرفة ، وللنابغة الذبياني ، منها قول طرفة يصف السفينة في جريها .

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفائل باليد

كما أن ابن رشيق في رسالته (قراضة الذهب) يستعمل الأبتكار رديفا للأختراع[٤٢]، أيضا ، ويرى أن أختراع المعاني قليل فضلا على أن السرقة فيه قليلة ، فأن وقعت أشتهرت ، في قوله : (... ومن هنا قل أختراع المعاني ، وقلت السرقات فيها ، وصار ، إذا وقعت ، أشهر .)[٤٣] بل هو يرى أن المعاني المخترعة (هي التي يسمى أخذها سرقة)[٤٤] . ويرى ، أيضا ، أن شاعرين قد يشتركان في معنى مخترع دون أن يعلم أحدهما بمعنى الآخر ، فعد ذلك من (توارد الخواطر وتشاركها في المعاني)[٤٥] ، ويرى أن من ضروب السرقات (التلفيق وهو أن يأخذ الشاعر المعاني المتضاربة ويستخرج منها معنى مؤكدا يكون له كالأختراع .)[٤٦] . ويردد ابن الأثير تقسيم أبي هلال العسكري للمعاني الذي رأيناه ، فيقول إن المعاني على ضربين أولهما ما (يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه . وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، ويتنبه له عند الأمور الطارئة .)[٤٧] ، ويوضح أبن الأثير تأثير الحوادث وما يطرأ من الأمور في أختراع المعنى أو أبتداعه من خلال أتيانه ببيتين لأبي تمام في وصف مصلبين ، هما :

بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ، ومن رآهم خالهم أبدا على سفر من الأسفار

فقال عنهما : (وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر ، في مثل هذا المقام ، ينساق الى المعنى المخترع من غير كلفة .)[٤٨] .

فهو يجد أختراع المعاني ، هنا ، أمرا تلقائيا وميسورا ، على أنه يرى أن المعاني التي لا تأتي نتيجة حدث أو حال هي أصعب منالا ، في قوله : (وأما

المعاني التي تستخرج بشاهد الحال ، ولأمر ما كان لأبكارها سر لا يهجم على مكامنه ، الا جنان الشهم ، ولا يفوز بمحاسنه الا من دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم ، وللهجوم على المغاني المحمية بحجب البواتر أيسر من الهجوم عل عذارى المعاني المحمية بحجب الخواطر ...)[٤٩] .

وقد أورد ، قبل ذلك ، بيتين لأبي نواس في الخمر هما :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم تنم
فأسقني الخمر التي أختمرت بخمار الشيب في الرحم

فحلق عليهما بقوله : (وهذا معنى مخترع ، لم يسبق اليه ، وهو دقيق يكاد لدقته أن يلتحق بالمعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصور .)[٥٠] .

ويسيغ ابن الأثير صفة الأختراع على كثير من المعاني المستنبطة من أستعمالات سابقة ، مما يعد خروجا عما رأيناه من شروط الأختراع . من ذلك قوله عن كلام له : (والمعنى المخترع من هذا الكلام قولي : "والأرض كأنها قرصة النقى وعسى أن تكون أرض محشره" وهو مستخرج من الحديث النبوي في قوله (ﷺ) : [[أنكم تحشرون على أرض بيضاء كقرصة النقى .]] يريد الخبزة البيضاء .)[٥١] .

ويستعمل ابن الاثير كلمة الأبتداع بمعنى الأختراع ، في نحو قوله : (وهذا معنى أبتدعته ابتداعا ، ولم أسمعه لأحد من قبلي .)[٥٢] ، والأبتكار بالمعنى نفسه في قوله عن أحد معانيه : (فأن هذا مما أبتكرته .)[٥٣] . وهو يرى أن المعاني المخترعة تأتي عن طريق فيض ألهي دون تعليم ، في ما يزعمه أنه أنفرد بأستخراجه ، مما جاء في قوله : (وسأنبه في هذا الموضع عن طريق يسلك الى شيء من المعاني المخترعة لم يتكلم احد بالاشارة الى طريق يسلك فيها ، لأن ذلك مما لا يمكن . ومن هاهنا أضرب علماء البيان عنه ، ولم يتكلموا فيه كما تكلموا في غيره . وهي تأتي من فيض آلهي بغير تعليم . ولهذا أختص بها بعض الناثرين والناظمين دون بعض ، والذي يختص بها يكون فذا واحدا ..)[٥٤] .

وتناول شهاب الدين الحلبي (٧٢٥هـ) أختراع المعاني بعنوان (سلامة الأختراع) وأشترط فيه عدم سبق الشاعر ، وعدم مقدرة أحد آخر على أتباعه ، ولعل عدم أتباعه أحد فيه شرط أنفرد به الحلبي في قوله : (وهو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ، ولم يتبعه احد فيه .)[٥٥] ، ولعله في قوله بعدم الأتباع متأثر بما لاحظه الجاحظ في عدم مقدرة أحد على الأتيان بالمعنى الفرد الذي أتى به عنترة في وصفه الذباب .

وكأن الحلبي كان يتحدث عن المعنى الفرد المخترع ، وقد أستشهد ، على ما قاله ، بأبيات لعنترة ، وعدي بن الرقاع ، والنابغة ، والسيد الحميري ، وأبي تمام وأبن حجاج ، ذكر اكثرها قبله .

أختراع المعاني بين القدامى والمحدثين :

عني بعض من ذكرناهم من النقاد بمسألة تحقق أختراع المعاني بين الشعراء القدامى والمحدثين ، فقد قال أبن رشيق إن الشعراء بقيت تخترع المعاني وتولدها كذلك ، على أنه يستدرك فيؤكد قلة ذلك في زمانه ، يقول : (وما زالت الشعراء تخترع الى عصرنا هذا وتولد ، غير أن ذلك قليل في الوقت .)[٥٦] . ولكنه يرى ، في موضع آخر ، أن تقادم الزمن والتطور الثقافي والحضاري يمليان زيادة على معاني القدماء من الشعراء ، ويقول : (وإذا تأملت هذا تبين لك ما في أشعار الصدر الأول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم في أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والأبداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء ، الا في الندرة القليلة والفلتة المفردة ، ثم أتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا اسلامي ، والمعاني أبدا تتردد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضا .)[٥٧] ، حتى أنه عد أبن الرومي (أكثر الناس اختراعا ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب[٥٨] الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه .)[٥٩] . وقد ذكر عددا من اختراعات ابن الرومي ، منها قوله :

عيني لعينك حين تنظر مقتل ولكن لحظك سهم حتف مرسل
ومن العجائب أن معنى واحدا هو منك سهم وهو مني مقتل[٦٠]

وقد ذكر أختراعات غيره من الشعراء المحدثين .

وهناك من قصر أبتداع المعاني ، أي أختراعها ، على المحدثين من الشعراء زاعما أن ليس للعرب من المعاني المخترعة شيء ، ذلك هو شخص يدعى (أبن افلح البغدادي) في كتابه (مقدمة أبن أفلح البغدادي) الذي ذكره أبن الاثير[٦١] ، ورد عليه ذاكرا فضل العرب القدماء في أختراع المعاني ، يقول أبن الأثير : (ووقفت على كتاب يقال له "مقدمة ابن أفلح البغدادي" ... وجدته في كتابه أنه قال: أما المعاني المبتدعة فليس للعرب منها شيء ، وإنما أختص بها المحدثون ..)[٦٢]. ومن رده عليه قوله : (ومن أدل الدليل على فساد ما ذهب اليه من أن المحدثين هم المختصون بأبتداع المعاني أن من بكى على الديار في شعره رجل يقال له أبن خدام وكان هو المبتدئ بهذا المعنى أولا ، وقد ذكره امرؤ القيس في شعره فقال :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى أبن حذام .)[٦٣]

على أن أبن الاثير يرى أن المحدثين اكثر أختراعا للمعاني وألطف مأخذا وأدق نظرا لأسباب تتعلق بالتطور الحضاري الذي يلفه العرب والمسلمون في دولتهم بعد أتساعها ، يقول : (ولو قال : إن المحدثين أكثر أبتداعا للمعاني وألطف مأخذا وأدق نظرا ، لكان قوله صوابا ، لأن المحدثين عظم الملك الأسلامي في زمانهم ، ورأوا ما لم يره المتقدمون ..)[٦٤] .

وبعد فأن هذا البحث ما هو الا محاولة لتأصيل أحد المصطلحات النقدية وتتبع تطوره عند عدد من المعنيين بالشعر ونقده .

الهوامش :

(١) معجم النقد العربي القديم : ١٠٩/١ ، (٢) تأريخ النقد الأدبي عند العرب : ٤٥٦-٤٥٩ وما ذكره د. أحسان عباس عن أختراع المعنى هو ما قاله ابن رشيق في رسالة (قراضة الذهب) ، (٣) العمدة : ٩٤/١ ، (٤) م.ن : ٩٤/١ ، (٥) م.ن: ٩٤/١ ، (٦) الأغاني : ٢٩٧/١٦ ، (٧) مختار الصحاح : ٤٢ ، (٨) النقد عند اللغويين : ١٥٣ ، ٢٦٣ ، (٩) العمدة : ٩٤/١ ، (١٠) فحولة الشعراء : ١٣ ، (١١) حلية المحاضرة : ١٧٨/١-١٧٩ وأنظر م.ن : ٢٤٣/٢ ، (١٢) م.ن : ١٧٩/١ ، (١٣) قراضة الذهب : ١٧ ، (١٤) معاهد التنصيص : ٨٤/١ ، (١٥) فحولة الشعراء : ٥١ ، الاغاني : ١٤١/٣ ، (١٦) الحيوان : ٣١١/٣ ، (١٧) معجم النقد العربي القديم : ٧٠/١-٧٣ ، (١٨) الحيوان : ٣١١/٣ ، (١٩) الاغاني : ١٣٨/٣-١٣٩ ، (٢٠) طبقات الشعراء : ٢٩ (٢١) أي أبو تمام ، (٢٢) الموازنة : ١٣٧/٢-١٣٨ ، (٢٣) م.ن : ٣٧٦/١ ، (٢٤) م.ن : ٣٤٦/١-٣٧٠ ، (٢٥) الانوار ومحاسن الأشعار : ٣٠٨، (٢٦) الوساطة : ٢٣٩ ، (٢٧) م.ن : ٢١٥ ، (٢٨) م.ن : ١٨٦ ، ٢١٥ ، (٢٩) حلية المحاضرة : ٤٣/٢، (٣٠) م.ن : ٢٤٣/٢ ، (٣١) الصناعتين : ٧٥ ، (٣٢) م.ن : ٢٠٣ ، (٣٣) م.ن: ٧٥ ، (٣٤) العمدة : ٢٦٢/١ ، (٣٥) م.ن : ٢٦٥/١ ، (٣٦) م.ن : ٢٦٥/١ ، (٣٧) م.ن : ٢٦٥/١ ، (٣٨) م.ن : ٢٦٣/١ ، (٣٩) م.ن : ٢٦٢/١ ، (٤٠) م.ن: ٢٦٢/١ ، (٤١) : م.ن : ٢٦٣/١ ، (٤٢) قراضة الذهب : ١١، ٣٩ ، (٤٣) م.ن : ١٤-١٥ وانظر م.ن : ٢٩-٣٠ ، (٤٤) م.ن : ٢٩ وانظر م.ن : ١٤ ، (٤٥) م.ن : ٤٤ ، (٤٦) م.ن : ٤٩ ، (٤٧) المثل السائر : ١/ق٢/١٤ ، (٤٨) م.ن : ١/ق٢ /٧ ، (٤٩) م.ن : ١/ق٢/٢٠ ، (٥٠) م.ن : ١/ق٢/١٤ ، (٥١) م.ن: ١/ق٢/٣٤ وانظر م.ن : ١/ق١/٥٦ ، ق٢/١٨ ، ٣٥،٣٣،٢٠ ، (٥٢) م.ن: ١/ق٢/٣٤ وانظر م.ن : ١/ق٢/٣٥ ، (٥٣) م.ن : ١/ق٢/٣٥ ، (٥٤) م.ن: ١/ق١/٥٥ ، (٥٥) حسن التوسل : ٢٩٦ ، (٥٦) العمدة : ٢٦٣//١ ، (٥٧) م.ن: ٢٣٨/٢ ، (٥٨) قال في العمدة ٢٤١/٢ ولكني أفرد له كتابا قائما بنفسه أذكر فيه

ما أنفرد بـــه المحدثـــون ، (٥٩) م.ن : ٢/٢٤٤-٢٤٥ ، (٦٠) م.ن : ٢/٢٤٤ ، (٦١) المثـــال الســـــائر : ١/ق١/٥٩ ، (٦٢) م.ن : ١/ق١/٥٩ ، (٦٣) م.ن : ١/ق١/٦٢ ، (٦٤) م.ن : ١/ق١/٦٣ .

مصادر البحث ومراجعه :

١ - الاغـــاني : أبـــو الفـــرج الأصفـــهاني ؛ دار الثقافـــة : بـــيروت ، ط٤ ، ١٣٩٣هـــ/١٩٧٣م .

٢ - الأنوار ومحاسن الأشعار : لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العـــدوي المعروف بالشمشاطي ، تحقيق : صالح مـــهدي العـــزاوي ، دار الشـــؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٨٧ م .

٣ - تأريخ النقد الأدبي عند العرب : د. احسان عبـــاس ، دار الشـــروق للنشـــر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٦م .

٤ - حسن التوسل الى صناعة الترسل : شهاب الدين محمود الحلبـــي ، تحقيـــق ودراسة : أكرم عثمان يوسف . دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م .

٥ - حلية المحاضرة في صناعة الشعر : أبو علي الحاتمي . تحقيق : د. جعفـــر الكناني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٩م .

٦ - الحيوان : الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمـــد هـــارون . شـــركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط٢ ، ١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م .

٧ - الصناعتين : أبو هلال العسكري . تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبـــو الفضل ابراهيم . نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة ١٩٧١م .

٨ - طبقات الشعراء : ابن المعتز . تحقيق : عبد الســـتار احمـــد فـــراج ، دار المعارف بمصر ، ١٣٧٥هـــ / ١٩٥٦م .

٩ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القـــيرواني . تحقيـــق : محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م .

١٠- فحولة الشعراء : الأصمعي . تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .

١١- قراضة الذهب : أبن رشيق القيرواني . مكتبة الخانجي . القاهرة ، ط١ ، ١٣٤٤هـ/١٩٢٦ م .

١٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير . تحقيق : د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

١٣- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٧م .

١٤- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : عبد الرحيم العباسي . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م.

١٥- معجم النقد العربي القديم : د. احمد مطلوب . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٨٩ م .

١٦- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي. تحقيق : السيد أحمد صقر . دار المعارف بمصر ، ط٢ - ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

١٧- النقد عند اللغويين في القرن الثاني : سنية أحمد محمد . دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٩٧٧ م .

١٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه : أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني. تحقيق : محمد أبو الفضل أبراهيم و علي محمد البجاوي . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ، ١٩٥١ م .